قالت العرب

"من يدخل الجنة اولاً؟ من مات برصاص العدو
ام من مات برصاص الأخ؟ بعض الفقهاء يقول:
رب عدوٌ لك ولدته أمّك"

المشهد
العدد 341 - السنة الرابعة عشرة - الثلاثاء 12 أغسطس 2025 م الموافق 18 صفر 1447 هـ

قنبلة "إسرائيل الكبرى" التى ألقاها نتنياهو

خريطة إسرائيل الكبري على الزي العسكري

لم يكن مستغربا أن يعلن أقطاب تيار الصهيونية الدينية واليمين المتطرف فى إسرائيل مرارا عن رغبتهم فى تحقيق حلم "إسرائيل الكبرى" و"أرض الميعاد"، خاصة منذ بدء حرب الإبادة الجارية فى قطاع غزة.

وكان اقتصار هذه التصريحات على وزراء وأعضاء الكنيست التابعين لهذا التيار حجة لدى المدافعين عن إسرائيل، باعتبار أن هذه التصريحات لا تمثل الموقف الرسمى للحكومة الإسرائيلية ولا تمثل تحولا فى الرؤية الإستراتيجية للمؤسسة الإسرائيلية الرسمية تجاه محيطها وتجاه الإقليم عموما.

لكن تصريحات رئيس وزراء الاحتلال بنيامين نتنياهو الأخيرة لشبكة i٢٤ الإسرائيلية عكست تحولا جذريا فى السردية الإسرائيلية الرسمية التى يمثلها رئيس الحكومة شخصيا، وتبنيا رسميا لأول مرة لطموحات تيار الصهيونية الدينية التى لا ترى لإسرائيل أفقا بين جيرانها العرب، وإنما ترى فى الأفق دولة توراتية كبرى تبنى أطروحاتها بناء على الأساطير الدينية التوراتية المتعلقة بأرض الميعاد، والمسيح المنتظر ونهاية العالم والألفية السعيدة.خلال مقابلته، قال نتنياهو إنه يشعر أنه فى مهمة تاريخية وروحانية ترتبط بأجيال اليهود عبر العصور، حيث اعتبر أنه هنا "بتفويض من أجيال من اليهود".

ولما سأله الصحفى ما إذا كان هذا يشمل رؤية إقامة "إسرائيل الكبرى" أجاب بالموافقة بكل ثقة. لتخرج علينا صحيفة (زمان يسرائيل) بعنوان مركزي: "نتنياهو يقول إنه فى مهمة تاريخية وروحية ويُقر برؤية إسرائيل الكبرى".

وجاء فى الخبر أن نتنياهو قال فى المقابلة إنه يشعر بالارتباط الشديد برؤية "إسرائيل الكبرى" التى تشمل ما كان يفترض أن يكون دولة فلسطينية مستقبلية- فى اتفاقية أوسلو- إضافة إلى أجزاء من الأردن ومصر.

لا يمكن فصل هذه التصريحات عن طبيعة الموقف الذى قيلت فيه، فالصحفى الذى أجرى المقابلة مع نتنياهو هو الإعلامى المعروف شارون غال، وهو عضو كنيست سابق عن حزب "إسرائيل بيتنا" اليمينى الذى يرأسه أفيغدور ليبرمان.

وخلال المقابلة، قدم شارون غال لنتنياهو هدية تعبر حسب كلامه عن أحد الأمور التى حلم غال بها طوال حياته، وهى خريطة الأرض الموعودة، وكانت الهدية تميمة يحملها أتباع اليمين المتطرف تحمل خريطة إسرائيل الكبرى المعروفة باسم "أرض الميعاد" التى تشمل المساحة بين النيل والفرات، وسأله غال عند إهدائه هذه الهدية: (هل أنت تؤمن بهذه الرؤية؟) أى رؤية "أرض الميعاد" و"إسرائيل الكبرى"، فأجاب نتنياهو مرتين متتاليتين: "جدا".

هناك واحد من احتمالين اثنين لما رأيناه فى هذه المقابلة، الاحتمال الأول أن يكون نتنياهو وشارون غال متفقين تماما على سيناريو الحوار والمقابلة ليكشف نتنياهو توجهاته الجديدة على الملأ بهذا الأسلوب دون أن يبدو ذلك مقصودا.

وهذا أمر لا أستغربه على شخص مثل نتنياهو بما هو معروف عنه من تلاعب وخبث، وبذلك فإن نتنياهو كان يريد أن يظهر فى هذا الحوار بصورة الشخص الذى يكاشف الجمهور لأول مرة بمكنونات نفسه، وبما يعتبره "إخلاصا" عميقا للرؤية الدينية التوراتية للصراع، ولا يتورع عن كشف هذا الجانب فى شخصيته عندما يوضع تحت السؤال، وفى هذه الحالة فإن نتنياهو يحاول الحصول على تعاطف جمهور الصهيونية الدينية بشكل أكبر من السابق، وربما فى سياق حملته على قطاع غزة.

الاحتمال الثانى أن نتنياهو بالفعل لم يكن يتوقع السؤال، وأنه وجد نفسه فى موقف يحتم عليه أن ينحاز لأحد الطرفين: الصورة العلمانية القومية المعروفة لحزبه ودولته، أو الصورة الدينية التوراتية التى بات صوتها يعلو من قبل التيارات الدينية اليمينية وعلى رأسها الصهيونية الدينية.

وفى هذه الحالة فإن شارون غال كان ذكيا بحيث وضع فخا لنتنياهو لكشف حقيقة نظرته السياسية والروحانية الشخصية فيما يتعلق بالرؤية الدينية التوراتية التى يستند إليها اليمين المتطرف فى تعامله مع مجريات الصراع.

ونتنياهو معروف بمهارته المعهودة بالتخلص من أى موقف لا يرغب فيه أو يورط نفسه بتصريح من هنا أو هناك، ولطالما نأى بنفسه عن تصريحات أعضاء حكومته من تيار الصهيونية الدينية، وعلى رأسهم سموتريتش وبن غفير المثيرة للجدل حول أحلام إسرائيل الكبرى، والسيطرة على المسجد الأقصى، وضم الضفة الغربية، والسيطرة على الأردن، ولبنان، ومصر، وسوريا وغير ذلك.

لكنه فى هذه المقابلة، وأمام "هدية" شارون غال المرتبطة برؤية إسرائيل الكبرى لم يكن أمامه إلا طريقان: إما أن يحاول التلون والالتفاف على الأمر، ويحافظ على صورة إسرائيل العلمانية التى طالما تفاخر بها الإسرائيليون منذ عهد بن غوريون، أو أن يستفيد من هذه الفرصة ويجعل هذه المقابلة حجر زاوية لإعلان انحيازه التام إلى رؤية الصهيونية الدينية، وإعلان تغيير السياسة الرسمية الإسرائيلية لتكون قائمة على الأسطورة التوراتية التى ينادى بها تيار الصهيونية الدينية.

ويكون ذلك إعلانا لدولة جديدة ثيوقراطية بعيدة عن الصورة الأوروبية العلمانية التى لطالما حاول الإسرائيليون تسويقها أمام العالم، سواء كان هذا فى سياق بحث نتنياهو عن الشعبوية فى أوساط اليمين فى إسرائيل، أو فى أوساط المؤيدين لإسرائيل من اليمين المسيحى المتطرف فى العالم.

ومن الواضح هنا أن نتنياهو اختار الطريق الثانى، فأعلن انحيازه للسردية الدينية التى يمثلها تيار الصهيونية الدينية، ليكون بذلك العضو الأحدث فى هذا التيار داخل حزب الليكود.

فالمعروف أن تيار الصهيونية الدينية بدأ مشواره السياسى من داخل حزب الليكود، حيث عمل الليكود على الاستفادة من هذا التيار بنفس القدر الذى عمل فيه التيار على الاستفادة من الليكود على مدى عشر سنوات تقريبا، فاستغل كل منهما قوة الآخر وقربه إلى حد ما من أطروحات الطرف الآخر، ودخل أعضاء كثر من تيار الصهيونية الدينية داخل حزب الليكود، وعملوا على نشر أفكاره بين أعضاء الحزب، وتحويل اتجاه الليكود إلى مسار الصهيونية الدينية.

ثم شكل أقطاب هذا التيار حزبهم الخاص المتمثل فى حزب "الصهيونية الدينية" بزعامة سموتريتش وحزب "القوة اليهودية" بزعامة بن غفير بعد شعورهم بأن قوة حضورهم فى الشارع تسمح لهم بالاستقلال عن الليكود.

بيد أن هذا لا يعنى اختفاء هذا التيار من صفوف حزب الليكود، فهو لا يزال يتمتع بحضور قوى فى حزب الليكود من خلال شخصيات مثل الوزير دودى أمسالم (وزير التعاون الإقليمي)، وأعضاء الكنيست عميت هاليفى (عرّاب مشروع قرار تقسيم المسجد الأقصى)، ومايى جولان، ونسيم فيتوري، وأرييل كيلنر، وأفيخاى بوآرون.

ويمكننا القول اليوم إن نتنياهو بتصريحاته الأخيرة يكشف انضمامه الكامل لهذا التيار ليعلن تقريبا أن حزبه أصبح جزءا من تيار الصهيونية الدينية ويحمل أفكاره ويروج لها.

نتنياهو كان يعلم أبعاد كلامه، وكان يقصد كل كلمة قالها فى هذه المقابلة، فهو يعلم أن عبارة "إسرائيل الكبرى" أو "أرض الميعاد" تشمل أراضى دول كان يتفاخر دائما بعلاقاته الدبلوماسية معها، وعلى رأسها الأردن، ومصر الملتزمتان باتفاقيات سلام مع إسرائيل، إضافة إلى أجزاء من السعودية التى لطالما تبجح بسعيه لإقامة علاقات دبلوماسية معها، فضلا بالطبع عن لبنان، وسوريا، والعراق.

وبذلك فإن نتنياهو إذ يعلن التزامه بهذه الرؤية فإنه يذهب إلى درجة إعلان تحلله من أى التزامات مسبقة لدولته سواء مع دول الإقليم أو العالم.

لا يمكن لنتنياهو التظاهر بأنه - على سبيل المثال - لم يكن يقصد "إسرائيل الكبرى" بمفهومها التوراتي، حتى وإن حاول هو أو بعض حلفاء إسرائيل أو المدافعون عنها التخفيف من وطأة تصريحاته تلك، وذلك لأن تصريحاته جاءت فى إطار التعليق على تميمة "إسرائيل الكبرى" التى أهداه إياها شارون غال خلال المقابلة، وهى تميمة تحمل خريطة إسرائيل الكبرى التى تشمل أجزاء من تلك الدول العربية.

ارض اسرائيل

ورد نتنياهو على ذلك لم يكن مجرد تعبير دبلوماسى أو حتى إشارة عامة، وإنما كان تعبيرا عميقا عن قناعة مطلقة، وذلك ما تمثله كلمة "جدا" التى استعملها مرتين، إضافة إلى انطلاقه بعدها فورا لاستذكار والده والجيل المؤسس للدولة بشكل عاطفى يضفى صبغة أيديولوجية عميقة على هذا المفهوم.

ولعل موقف الأردن الذى سارع بالاحتجاج على هذه التصريحات ورفضها مؤشرٌ على شعور الأردن بالتهديد المباشر مِن هذه التصريحات، وهذا يعنى أن رسالة نتنياهو وصلت بالفعل، وأنها فُهِمَت بالضبط كما كانت دون مواربات ولا تبريرات، وخاصة على الصعيد الرسمي.

والواجب الآن على المحيط الإقليمى الرسمى أن يتعامل مع هذه التصريحات باعتبارها تشكل اتجاها سياسيا إسرائيليا رسميا جديدا لم يعد مقصورا على سموتريتش وبن غفير.

هذا الاتجاه العدائى الواضح تجاه المحيط العربى يستلزم وقفة جادة فى وجهه قبل أن يستفحل الأمر أكثر من ذلك، وهذه الوقفة ينبغى أن تتجاوز التنديدات والتصريحات السياسية والإعلامية إلى إجراءات حقيقية على الأرض، أولها وأهمها كشف ضعف الموقف الإسرائيلى فى حال واجهَ محيطا عربيا وإسلاميا موحدا، والملف الوحيد الذى يمكن أن يقلب المعادلة هنا هو كسر الحصار على غزة دون أى اعتبار لموافقة أو رفض نتنياهو ومستوطنى حكومته.

أما إن بقى الموقف العربى الباهت الضعيف على ما هو عليه، فإن نتنياهو سيتمادى أكثر وأكثر، وما دام اليوم قد كسر الخطوط الحمراء بإعلان التزامه العميق برؤيته التوراتية لإسرائيل الكبرى على حساب الدول العربية المجاورة، فإن الصمت والخذلان سيغريانه بتجاوز خطوط أخرى، وتحويل الهوس الدينى الذى يمثله اليوم بتسلئيل سموتريتش وإيتمار بن غفير وعميحاى إلياهو بأن يصبح الخط الرسمى لإسرائيل.

بقلم: د. عبد الله معروف
كاتب فلسطينى والمقال نقلا عن الجزيرة نت

مشروع إسرائيل الكبرى.. قراءة فى الأيديولوجيا والسياسة الصهيونية المتطرفة

كيف سيحقق نتنياهو حلمه بتأسيس إسرائيل الكبرى فى المنطقة؟

صرّح رئيس وزراء إسرائيل بنيامين نتنياهو، الثلاثاء (8/12)، بأنه يشعر أنه فى "مهمة تاريخية وروحية" مرتبطة برؤية "إسرائيل الكبرى".

وقال نتنياهو فى مقابلة مع قناة "آى 24□حينما سئل عما إذا كان يشعر بأنه "فى مهمة نيابة عن الشعب اليهودي" أجاب بأنه "فى مهمة أجيال". وأضاف: "لذلك إذا كنت تسألنى عما إذا كان لدى شعور بالمهمة تاريخيا وروحيا، فالجواب هو نعم".

وأهدى المُحاور، لنتنياهو ما وصفه بأنه خريطة على شكل تميمة تُظهر "إسرائيل الكبرى".

إسرائيل الكبرى أو "إرتز يسرائيل"

لم يكن نتنياهو يطلق مجرد شعار سياسى أو عبارة دعائية، بل كان يستحضر مشروعًا أيديولوجيًا واستراتيجيًا ممتدًا عبر قرن من الزمن.

مصطلح "إسرائيل الكبرى" - أو "إرتز يسرائيل" - يشمل وفق المزاعم الإسرائيلية مساحات واسعة من الأراضى الفلسطينية المحتلة، وأجزاء من الأردن ولبنان وسيناء والجولان. وقد بدأ استخدامه سياسيًا بعد حرب 1967 ليصف الواقع الجديد الناتج عن السيطرة العسكرية على هذه المناطق.

لكن جذور الفكرة أعمق بكثير، إذ تتشابك مع عقائد تأسيسية فى الفكر الصهيوني مثل "نظرية الجدار الحديدي" و"عقيدة الأطراف"، وهى ليست مجرد أطروحات نظرية، بل خطط عملية تم تنفيذها على الأرض بمرور العقود.

الجدار الحديدى أو البقاء للأقوى

يعود أصل نظرية "الجدار الحديدي" إلى زئيف جابوتينسكي، أحد أبرز منظرى الصهيونية فى النصف الأول من القرن العشرين.

كتب جابوتينسكى بوضوح أن المشروع الصهيونى لا يمكن أن يستمر أو يتطور إلا تحت حماية "سلطة مستقلة عن السكان الأصليين" تقيم حوله "جدارًا حديديًا" يمنع العرب من اختراقه.

هذا الجدار ليس بالضرورة ماديًا، بل هو سياسى وعسكري، هدفه أن يصل العرب إلى قناعة استحالة إزالة الكيان الصهيوني، فيقبلونه كأمر واقع.

موشيه ديان - أحد أبرز القادة العسكريين الإسرائيليين - قدّم تفسيرًا عمليًا للنظرية حين قال إن إسرائيل، بحكم وجودها، ستظل محاطة بأعداء سواء فى زمن الحرب أو السلام، ما يستوجب تحصينها دائمًا.

من الإزاحة إلى التوازن

بعد النكبة وحرب 1948، طبّقت إسرائيل المرحلة الأولى من مشروعها وهى "الإزاحة" عبر التطهير العرقى والتهجير الواسع للفلسطينيين.

لكن المرحلة التالية كانت "التوازن"، حيث سعت إسرائيل لتأمين نفسها من أى تهديد عربى عبر التحصين الدبلوماسى والعسكري.

هنا تحوّل "الجدار الحديدي" من فكرة إلى سياسة عملية: التحالف مع الغرب، بناء شبكة علاقات مع دول محيطة غير عربية، واستغلال الانقسامات الداخلية فى المجتمعات العربية.

المقابلة مع أي ٢٤

عقيدة الأطراف: هندسة التحالفات من الخارج

المؤرخ الصهيونى بنيامين بيت حلاحمى أطلق على هذه السياسة اسم "عقيدة الأطراف"، وركائزها ثلاث وهى لتحالف مع قوى عظمى ودول غير عربية - مثل تركيا، إيران الشاه، وإثيوبيا، لتشكيل طوق أمنى حول إسرائيل.

أما ثانى استراتيجية، فهى دعم الأقليات فى الدول العربية - مثل الموارنة فى لبنان، الدروز فى سوريا، والأكراد فى العراق، ثم إشعال الصراعات الداخلية - عبر دعم الملكيين فى اليمن، أو الحركات الانفصالية فى السودان.

يوسى ألفر، ضابط الموساد، وصف هذه العقيدة بأنها من بنات أفكار دافيد بن جوريون بعد أزمة السويس 1956، حين أدرك ضرورة إيجاد حلفاء إقليميين يوازنون العداء العربي.

بن جوريون واتفاقية الرمح الثلاثي

فى 1958، كتب بن جوريون للرئيس الأمريكى دوايت أيزنهاور موضحًا الحاجة إلى تحالف بين عدة بلدان - بينها سوريا ولبنان - يعكس قوة الغرب فى الشرق الأوسط، وذلك وفقًا لمذكرات بن جوروين نفسه.

تحولت الفكرة إلى واقع عبر "اتفاقية الرمح الثلاثي" بين إسرائيل وتركيا وإيران، التى شملت تبادلا للمعلومات الاستخباراتية، وعمليات تجسس مشتركة، ودعمًا لوجستيًا فى مجالات عسكرية وأمنية.

قال بن جوريون حينها إن الهدف هو "سدّ منيع" فى وجه "التيار الناصرى السوفيتي"، مع تعزيز العلاقات مع إيران الشاه وإثيوبيا، وفتح قنوات أعمق مع تركيا.

الارتباط بالغرب: من هرتزل إلى الاتحاد الأوروبي

الانتشار الاستيطانى الإسرائيلى لم يكن ليستمر دون وسيط سياسى واقتصادى وثقافي، وهذا الوسيط كان الارتباط الوثيق بالغرب.

هرتزل نفسه رأى أن الدولة اليهودية فى فلسطين ستكون جدارًا ضد الشرق وقاعدة لنقل الثقافة الأوروبية إلى آسيا، ما يجعلها حارسًا لمصالح الغرب.

فى 1961، وضعت وزارة الخارجية الإسرائيلية مذكرة لطلب بدء محادثات مع السوق الأوروبية المشتركة، بحجة أن إسرائيل تمثل "القيم السياسية والثقافية الأوروبية" فى الشرق الأوسط، وأن دمجها اقتصاديًا سيعزل العرب ويجبرهم على التعامل معها ككيان طبيعي.

أبا إيبان، وزير الخارجية الإسرائيلي، قال فى 1967 إن إسرائيل "دولة أوروبية بقدر ما هى آسيوية" ويجب أن تنضم إلى السوق الأوروبية المشتركة.

الطريق الأمريكي: من التردد إلى التحالف الاستراتيجي

بعد 1948، كانت الولايات المتحدة مترددة فى دعم إسرائيل عسكريًا، خوفًا على مصالحها النفطية وعلاقاتها مع العرب. جورج كينان حذّر من أن دعم الصهيونية المتطرفة سيقوّى النفوذ السوفيتى فى المنطقة، ويضر بالقواعد العسكرية الأمريكية.

لكن مع إدارة كينيدى فى أوائل الستينات، تغير الموقف. ففى 1962، أبلغ كينيدى جولدا مائير أن أمريكا ستدعم إسرائيل فى حال تعرضها للغزو، وأمر بأول صفقة أسلحة كبيرة (صواريخ هوك المضادة للطائرات).

بعد هزيمة 1967، ارتفع الدعم العسكرى الأمريكى بشكل ضخم، وتحولت إسرائيل إلى حليف استراتيجى أساسى فى استراتيجية الناتو لمواجهة السوفييت.

تفكيك النسيج العربي: من العراق إلى السودان

رؤية إسرائيل الكبرى لم تكتف بالتحالفات، بل استهدفت المجتمعات العربية من الداخل.

فى الثلاثينيات، بدأ رؤوفين شيلواح، صديق بن جوريون وأول رئيس للموساد لاحقًا، بزيارة العراق وإنشاء شبكة استخباراتية تركز على استقطاب الأقليات، خصوصًا الأكراد.

فى 1948، اقترح عضو الكنيست باروخ أوزيل تحالفًا بين إسرائيل وأقليات المنطقة: الموارنة، العلويون، الأكراد، والأرمن. لاحقًا، دعمت إسرائيل تمرد الأكراد فى العراق (عملية "أثينا" 1963 بالتعاون مع سافاك الشاه).

وفى اليمن والسودان ولبنان، تكررت الاستراتيجية: دعم تيارات انفصالية أو أقليات لخلق بؤر توتر دائمة تتيح لإسرائيل التدخل غير المباشر.

من جابوتينسكى إلى نتنياهو، تتضح ملامح مشروع "إسرائيل الكبرى" كخطة استراتيجية لا مجرد حلم أيديولوجي. الجدار الحديدي، عقيدة الأطراف، التحالف مع الغرب، وتفكيك المجتمعات العربية، كلها أدوات فى خدمة هدف واحد: تثبيت إسرائيل ككيان مهيمن وطبيعى فى المنطقة، وإجبار العرب على القبول بوجودها.

تصريحات نتنياهو الأخيرة ليست إذن خروجًا عن الخط التاريخي، بل امتداد له، وربما خطوة أخرى نحو تحويل "إرتز يسرائيل" من خريطة فى الذهن الصهيونى إلى واقع على الأرض.

بقلم: أحمد قاسم
نقلا عن موقع "عن مصر"